(١٦) خطبة له ﷺ

فى وصف الدنيا

خطب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلّم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :

«الدُّنيا دارُ بَلاءٍ ، ومنـزلةُ بُلْغَةٍ[١] وعَناء ، قد نُزعت عنها نفوسُ السُّعداء ، وانتزعتْ بالكُرْهِ من أيدى الأشْقياء . فأسعدُ النَّاس بها أرغبُهم عنها ، وأشْقاهم بها أرغبُهم فيها ، فهى الغاشَّة لِمَنِ اسْتَنْصَحَها ، والمُغْوِية لمنْ أطاعَها . الفائزُ مَنْ أعرضَ عنها ، والهالكُ مَنْ هَوَى فيها. طُوبَى لعبدٍ اتَّقى فيها ربَّه ، وقدَّم توبتَه ، وغَلَبَ شهوتَه : مِنْ قبلِ أنْ تلقيه الدُّنيا إلى الآخرة ، فيُصبح فى بطنِ موحشةٍ غبراءَ[٢] مدلهمَّةٍ[٣] ظلماءَ لا يستطيعُ أن يزيدَ فى حسنةٍ ولا ينقصَ مِنْ سيِّئةٍ ، ثم يُنْشَر فَيُحْشَر إمَّا إلى جَنَّة يدومُ نعيمُها ، أو إلى نارٍ لا ينفدُ عذابُها ». (ذكره فى الكشكول)

---

(١) البلغة - بضم فسكون - : ما يتبلغ به من العيش .

(٢) الغبراء ، أى : الأرض .

(٣) أى : مظلمة ، يقال : ادْلَهَمَّ الظلام : كثف واسودَّ . و «مُدْلَهِمٌّ» مبالغة .

فى هذه الخطبة ـ كما قرأنا ـ يزيح النبى ﷺ الستار عن حقيقة مهمة لابد وأن نقف عليها، عن الدنيا . . وهى أنها : « **دارُ بلاء ، ومنزلةُ بلغة وعناء** » وهذا أمر مقطوع به ومتفق عليه، ولا شك أننا جميعاً نعرفه ونعيش فيه سواء أكنَّا من الفقراء ـ دنيوياً ـ أم من الأغنياء ، لأنه لا راحة فى الدنيا لأحدهما، فكلاهما مشغول ومهموم، وقد يكون العناء فكرياً أو جسدياً، وكلاهما ـ كذلك ـ صعب أو أصعب من الآخر .

ومن أجل ذلك : كان من الواجب على الإنسان العاقل أن يكون فى هذه الدنيا بعيداً عن الهموم والأحزان، وأن يكون هدفه الأسمى من هذه الحياة الأولى، هو أن يخرج منها وقد رضى الله عنه وأرضاه .

* * *